

السؤال الأول : ما حكم سب الذات الإلهية بشكل عام؟ وسبها عند ساعة الغضب على وجه الخصوص؟

لحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد :

حكم سب الذات الإلهية بشكل عام :

لست ممن يحب تصيّد التهم للناس، ورميهم بالفسق والشرك، لكننا أمام تصرف يوجب النظر الطويل، والمصارحة الخالصة.

إن سبّ الخالق العظيم ليس شيئاً هيناً خطراً، إنه سفالة عميقة القرار، فقد أجمع العلماء على أن من سبّ الله تعالى فقد كفر، بل هنا أكبر أنواع الكفر، فهو أعظم من مجرد الردة عن الإسلام، نص على ذلك أهل العلم، قال ابن قدامة رحمه الله في " المغني " : ومن سب الله تعالى كفر، سواء كان مازحاً أو جاداً، وكذلك من استهزأ بالله تعالى أو بآياته أو برسله أو كتبه، قال تعالى : { **وَكِنَّ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ سَاهُونَ** } (التوبة : ٦٥).

وعلينا أن ننظر في المكان الذي يعيش فيه هذا المستهتر، فإن كان السابّ مسلماً ناشئاً في بلاد الإسلام فلا يُعذر، لأن مسألة تعظيم الله وتوقيره من المسائل العظيمة المشهورة، وليست من المسائل الهينة الخفية.

بل إن الله تعالى نهى المؤمنين عن مجالسة من يستهزئ بآياته سبحانه : { **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِذَا مَثَلُهُمْ** } (النساء : ١٤٠)، أي: أيها المؤمنون، إن استمعتم إلى من يعلنون الاستهزاء بآيات الله تعالى، كنتم معهم في الاستهانة بآيات الله، وشركاء لهم في آثامهم؛ لأن الراضي بالكفر بآيات الله وبالاستهزاء بها يكون بعيداً عن حقيقة الإيمان، ومستحقاً للعقوبة من الله، قال صاحب الكشاف - الزمخشري - "فإن قلت: لم يكونوا مثلهم بالمجالسة إليهم في وقت الخوض؟ قلت: لأنهم إذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين".

إنه التهديد الذي يرتجف له كيان المؤمن : { **إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ** }، قال القرطبي : " فدل بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر؛ لأن من لم يتجنبهم فقد رضي فعلهم، والرضا بالكفر كفر، قال الله تعالى : { **إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ** }، فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية.

لا شك أن ضعف وليونة الدين في القلوب، أدى إلى هذا السلوك العبثي اللئيم، وهو سلوك جمع الكفر ظاهراً وباطناً، فهو كفر ظاهر، لجريان السب على لسان صاحبه دون وجل، وكفر باطن؛ لأنه سلوكٌ دال على استهانتته بالله تعالى، وانعدام خشيته من الذي خلقه فسواه.

سب الذات الإلهية عند ساعة الغضب على وجه الخصوص :

أما بالنسبة لموضوع سب الذات الإلهية ساعة الغضب على وجه الخصوص، فإن كان في حالة عصبية مطبقة على دماغه، فلا يخرج من الملة لكون حكمه حين عصبته تلك حكم المجنون غير المكلف، وفي هذه الحالة يجب معالجة عصبته بطرق أخرى وتعليمه هدي الرسول عليه الصلاة والسلام في حالة الغضب ... الخ، فالغضب ليس مستقلاً للحكم في سب الله صريحاً إلا الإغلاق الذي لا يدري صاحبه ما يقول، كالسكران، وأمثاله، فهذا لا يكفر بمقاله في مثل هذه الحال.

أما إن لم تكن حالته حين العصبية مطبقة على دماغه فإنه يُنصح مباشرة ويؤمر بالنتشهد والاستغفار لما بدر منه ويعلم عظم ما اقترفه.

لكن إن لم يستجب وسب الذات الإلهية عن قصد، فهذا خرج من الملة، فإن سب الدين أو سب الذات الإلهية من الأمور التي تخرج الإنسان من الإسلام بدهاء..

ويقول العلماء بأن الذي سبقت على لسانه في حالة غضب فهي معصية توجب الاستغفار وتسم الإنسان بالفسق، وتحتاج إلى توبة ومعاهدة الله على عدم الرجوع لمثلها؛ وعليه إذا كان الوضع على هذه الحالة فإنه يجب أن يُزجر وأن يُقاطع من يسب الدين أو الذات الإلهية وأن يشعر أن ما أتى به كبيرة تستوجب الاستغفار والتوبة.

وقد أجمع العلماء على أن من سب الله تعالى أو سب الدين ومقدساته كفر، سواء كان مازحاً أو جاداً، أو مستهزئاً، لقول الله تعالى: {وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ سَاهُونَ} {٦٥} لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بَأْسُهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} {٦٦} (التوبة : ٦٥-٦٦)، لكنه إذا تاب إلى الله تعالى فمذهب الجمهور أنه تقبل توبته، واشترط بعض العلماء لقبولها أن لا يتكرر ذلك منه ثلاث مرات، فإن تكرر ثلاثاً لم تقبل لدلالة التكرار على فساد عقيدته، وقلة مبالاته بدينه، ولكن القول بقبولها ولو تكررت أظهر، وقد دلت عليه ظواهر آيات كثيرة، وأحاديث صحيحة .

أما من سبقه لسانه بسب الله تعالى بدون قصد منه فلا شيء عليه، لقول الله تعالى: {وَكَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِنْ مَّا كُنْتُمْ تُقْبَلُونَ كُنْتُمْ نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ سَاهُونَ} {٦٥} لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بَأْسُهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} {٦٦} (التوبة : ٦٥-٦٦).

وعليه، فإذا كان الشخص الذي سب الذات الإلهية لم يقصد السب وإنما سبق لسانه به فلا شيء عليه، والله أعلم.

السؤال الثاني : هل هناك آيات قرآنية أو أحاديث نبوية تؤكد تحريم سب الذات الإلهية ؟

نعم هناك آيات قرآنية أو أحاديث نبوية تؤكد تحريم سب الذات الإلهية، منها :

- قوله تعالى: {وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ سَاهُونَ} {٦٥} لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بَأْسُهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} {٦٦} (التوبة : ٦٥-٦٦).

وسبب نزول هذه الآية أن نفرًا من الناس قام بالتندر على صحابة رسول الله ﷺ فقالوا : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا وأكذب ألسنا وأجبن عند اللقاء.. فأنزل الله حكمه القاطع بكفرهم .

فتأمل أخي الكريم كيف وصمهم الله بهذا مع كون استهزائهم بحملة الدين لا بالدين نفسه.. فمن ظنك بمن يسب الله أو يستهزأ بدينه؟! لقد عصا قلة من صحابة رسول الله ﷺ أمراً له بغفلة يوم أحد، فقلب الله نصرهم هزيمة.. فما بالنا اليوم نرجو النصر والتمكين وفيما من يسب الله ﷻ أو يسب دينه..!!

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا} {٥٧} {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مِمَّا كَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا} {٥٨} {الأحزاب : ٥٧-٥٨}، فرق الله ﷻ في الآية بين أذى الله ورسوله وبين أذى المؤمنين والمؤمنات فجعل على هذا أنه قد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة وأعد له العذاب المهين ومعلوم أن أذى المؤمنين قد يكون من كبائر الإثم وفيه الجلد وليس فوق ذلك إلا الكفر والقتل .

السؤال الثالث : ما الدوافع التي تدفع الشخص لسب الذات الإلهية على الرغم من معرفته بأنه حرام ؟

قال ابن القيم : " وروح العبادة هو الإجلال والمحبة فإذا تخلى أحدهما عن الآخر فسدت فإذا اقترن بهذين الثناء على المحبوب المعظم فذلك حقيقة الحمد والله أعلم ."
والسب كما عرفه ابن تيمية: هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف وهو ما يفهم منه السب في عقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم كاللعن والتقيح ونحوه .
أما أسبابها فكثيرة منها :

١ - عدم توقير الرب ﷻ في قلوب العباد الذين يتجرؤون عليه سبحانه بالسب واللعن والشتم.
٢ - السنة السيئة .. فحينما يتربى الطفل على سماع والده يسب الرب أو أبناء حارته يلعنون الدين .. ويصبح الأمر اعتيادي فلا منكر!! حتى لو كان هناك إنكار فهو ليس بالصورة المطلوبة مع جرم الحدث فلا أعلى ولا أكبر من هذا الجرم، فحينما يتربى الطفل في وسط هذه الخبائث يجري الكفر على لسانه ويكبر، ويكبر معه الكفر حتى إذا بلغ ولم يتب إلى الله ﷻ واستمر في سبه ولعنه لخالقه جل وعلا طُبع على قلبه .. إلا من رحم الله وهدى .

٣ - ومن الأسباب أيضاً تقصير الخطباء والمشائخ والعلماء في الاهتمام بهذه الكبيرة المخرجة من الملة بالاتفاق - حيث لا تأويل في سب الرب !! وعدم أخذ الأمر بصورة جدية عظيمة ينبغي أن تكون لها لجنة خاصة وتعاون كبير جداً لمحقتها وإلا سخط الله علينا .. نسأل الله العفو والعافية.

فلم نسمع خطباء أو مشائخ يتحدثون عنها بل لا نسمع كثرة - نقول كثرة - الأسئلة الواردة على المشائخ بهذا الجانب رغم انتشارها بكثرة مخزية في الوطن العربي حتى لو سألتني عن بلد فلاني أو فلاني أو فلاني لا أبالغ لو قلت لك نصفهم يشتمون الله أو الدين ! تعالى الله، وسبب ذلك يعود إلى أخذ الأمر بسهولة لدى الشارع العربي المسلم وكأنها غلطة عابرة أو كأنه طلاق وقع وقت الغضب المفرط .

أما عن الدوافع التي تدفع الشخص لسب الذات الإلهية على الرغم من معرفته بأنه حرام، فالآراء متباينة، فمنهم من يقول أن السبب الرئيس وراء ذلك هو التنشئة منذ الطفولة والبيئة الاجتماعية المحيطة بالفرد، والبعض يقول أن غياب الواعظ الديني هو السبب الرئيسي، وآخرون يقولون أنها من مخلفات الاستعمار، ويرى آخرون أن الجهل سبب رئيسي في ذلك... لكل واحد رأي يختلف عن الآخر... واتضح لي أن هناك نسبة كبيرة من

المتعلمين والمتقنين يقومون أيضاً بسب الذات الإلهية... وعندما سألت بعضهم لماذا؟؟ وجدت العذر أقبح من ذنب!! إذ يقولون أنه العصبية الزائدة تدفعهم لذلك..

كثيرة هي الأسباب وكثيرة هي الأعذار، وكلها تعطي مؤشر على أنه يوجد خلل حقيقي!! يقول الأستاذ أسامة حمود، كاتب ومستشار تربوي مصري: أصل الإيمان بالله الإجلال والمحبة، وروح العبادة في الإسلام الرغبة والرغبة، وعلى هذين الأصلين يبني المؤمن علاقته بالذي أوجد وخلق، وأعطى ورزق، فالإيمان به ومحبته وعبادته وإخلاص العمل له، هو غذاء الإنسان وقوته وصلاحه وقوامه. كما أن توحيد الله اعتقاد وسلوك، حقيقة وعنوان، ساحة وأركان إنما يكون إذا قويت هيبة الدين في نفس المسلم، ولكنه عندما ضعفت هيبة الدين في النفوس، تجاسر الناس على كل المقدسات والقيم، وارتكبوا الأفعال التي لا تصدر إلا عن استحمت غفلته، وقسا قلبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

السؤال الرابع : وهل يؤدي ذلك إلى خروج الشخص عن الملة ؟

إن من سب الله تعالى وسب رسوله ﷺ أو سب دينه كفر ككفر مخرجاً من الملة. ويجب على سلطان المسلمين قتله بإجماع العلماء إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع ولم يتب من ذلك.

السؤال الخامس : إذا سب الذات الإلهية، ثم استغفر ربه وتاب إلى الله هل يغفر له ؟ وهل يشترط الاستحمام بعد ذلك ؟

سب الذات الإلهية من أكبر الكبائر، بل ردة عن الإسلام، ويجب على من وقع منه ذلك المبادرة بالتوبة والاستغفار والإكثار من الحسنات، فإذا تاب توبة نصوحاً تاب الله عليه . وعلماء التوحيد قد اتفقوا على أن الذي يسب الذات الإلهية أو يسب القرآن أو يسب الرسول عليه الصلاة والسلام - وهو واع لما يقول - يعتبر مرتدّاً، ويخرج من رتبة الإسلام، ويقول الفقهاء: إن المرتد إما أن يستتاب ويعلم توبته من جديد، ويدخل الإسلام ويغتسل ويتشهد، وإما أن يقتل ردة.

السؤال السادس : البعض يسب الذات الإلهية والدين بنطق الحروف الأولى دون إكمال اللفظ، فهل هذا يماثل سب الذات الإلهية كاملاً ؟

نعم، الذي يسب الذات الإلهية والدين بنطق الحروف الأولى دون إكمال اللفظ، يماثل في الحكم من سب الذات الإلهية كاملاً - وهو أنه كافر مرتد عن دين الإسلام، ويجب على من وقع منه ذلك المبادرة بالتوبة والاستغفار والإكثار من الحسنات، فإذا تاب توبة نصوحاً تاب الله عليه - وذلك أن الواجب على المسلم تعظيم الله تبارك ظاهراً وباطناً، اعتقاداً وقولاً وعملاً، فالعقيدة الإسلامية تقوم على تعظيم الخالق تبارك وتعالى، فالشخص الذي يفعل ذلك هو في الحقيقة لم يعرف قدر الله تبارك وتعالى ولم يقدره حق قدره، وعليه أن يحذر، وأن يتقي الله في أقواله ويجب عليه أن يعرف ما ينلفظ به قال تعالى في المشركين : { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } (الزمر: ٦٧).

السؤال السابع : خطورة سب الذات الإلهية والدين هل تفقد عند خدش العقيدة أم تتعدى ذلك ؟ وأين تكمن هذه الخطورة ؟

إن سب الذات الإلهية أو الدين ناقض من نواقض الإيمان، فمن سب الله أو الدين فقد ارتد عن دين الإسلام، وكفر بما أنزل على محمد ﷺ. إن سب الدين أو الذات الإلهية من أشنع أنواع الكفر بالله تعالى؛ وهو ردة عن دين الإسلام، قال الله تعالى في حق المستهزئين بالله ودينه: {وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ سَاهُونَ} {٦٥-٦٦} لا تعتذروا فقد كفرتم بعد إيمانكم إن كف عن طائفة منكم عذاب طائفة بالله كانوا مجرمين} {٦٦} (التوبة : ٦٥-٦٦)، فكيف بمن سب الذات الإلهية أو الدين !!! من سب الذات الإلهية أو الدين انتقض إيمانه وصلاته وصيامه وزكاته وعبادته.... وحرمت عليه زوجته، ووجبت مقاطعته، وواجب ولي الأمر أن يزرجه عن جريمته النكراء بالحبس والجلد، إلى أن يتوب ويدخل الإسلام من جديد كما يدخل الكافر الإسلام، وإن لم يتب وجب على ولي الأمر قتله بواسطة القضاء الشرعي .

إنني في هذا المقام الخطير أرفع صوتي إلى أبناء شعبي جميعاً وإلى ولاة الأمور فأذكرهم بأن أثر المعاصي من الفرد يتعداه إلى المجتمع بأسره قال الله تعالى: {وَأَقْبُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} {الأنفال : ٢٥}، لقد سئل النبي ﷺ: " أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ "، قَالَ: " نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ "، وإن هذه المعصية سبب من أسباب آلامنا وأحزاننا فهي حجاب بيننا وبين رحمة الله تعالى؛ فالعصاة يطعنون المجتمع في ظهره، ويؤخرون نصر الله تعالى. فانتصاراً لربنا وديننا يجب أن يتحرك الجميع لوضع حد لهذه الجريمة النكراء. أناشد ولاة الأمر والمؤسسات والهيئات والأحزاب.... أناشد كل فرد من أبناء شعبنا كل وفق سلطته وقدرته وإمكاناته للعمل على إنهاء هذه الجريمة النكراء. كما وأدعو الوعاظ والخطباء إلى تناول هذا الموضوع لتحذير الناس منه، لاسيما ونحن مقبلون على شهر رمضان المبارك؛ شهر الرحمة والمغفرة، والعتق من النار.

السؤال الثامن : ما الآلية التي ينبغي إتباعها للقضاء على هذه الظاهرة ؟
مقترحات عملية وتطبيقات تربوية:

واجب العلماء والعقلاء - بل وعامة الناس - أن يرمقوا هذا الفعل الشنيع باستنكار، وأن يبذلوا جهدهم لتعليم ذوي السلوك النابي طريق الحق، ومخاطر هذا الفعل الذي لا ينفع معه تحمل ولا اعتذار .
وأقترح أن يقوم الخطباء والوعاظ والدعاة إلى الله تعالى، وبالتعاون مع وزارات الأوقاف في جميع البلاد الإسلامية بحملات مباركة هدفها بيان شناعة هذا الفعل، بل هذه الخطيئة، ووجوب التوبة العاجلة منها، فمن النقائص أن نعبد الله ونحن شتامون له، وأن ندعي المحبة والتوكل والزلفى، ونحن غير هيايين لجلاله، غير معظمين لأسمائه.

فحرام أن ندع الجهل يفتك بالإيمان ونحن شهود، فما استطاع الضلال أن يسود إلا في غيبة الناصحين المصلحين الأوفياء.

وعلى كل من عنده مُسْكَةٌ - بقية - من إيمان، أن يشارك في تلك الحملة.. المعلم في مدرسته، والمرأة في بيتها، والرجل في سوقه، والفتاة في ناديها، والخطيب في مسجده، والإعلامي في حقله.

وهناك مقترحات عملية للقضاء على هذه الظاهرة :

* توفير النشرات العلمية المبسطة، والملصقات الجذابة، والكتيبات المناسبة التي تعالج قضايا الإيمان وأركانه ومتطلباته، مع بيان واضح لحكم من يرتكب هذا الإثم الصريح.

* اعتماد سياسة التعزيز، أي مكافأة أصحاب النشاط الملحوظ في تلك الحملة، سواء كان عالماً أو متعلماً، شاباً أو شيخاً، رجلاً أو امرأة.

* التهديد بوضع اسم كل من تطاول على الله في لسته سوداء، تُعلق في الأماكن العامة من البلدة بعد إمهالهم فترة زمنية يتم خلالها تعليمهم معنى العقيدة، وتدريبهم على ترك تلك الخطيئة.

* مخاصمة كل من تجاسر وارتكب على هذا الفعل - بعد انقضاء الزمن المضروب لهم - من قبل ذويه وأصدقائه وكل من لهم به صلة.

* رفع دعوى قضائية ضد كل شخص يرتكب هذا العمل - بعد انقضاء الزمن المضروب أيضاً - أمام المحكمة الشرعية لاستنابته.

وإني لأخشى بغض الطرف عن هؤلاء المستهزئين بالله وآياته أن تصل الأمور بالحكومات العصرية إلى حد قول الشاعر:

يقاد للسجن من سب الزعيم ومن *** سب الإله فإن الناس أحرار

وحينئذٍ فلا تفرح بالعيش في ظل الفساد وتقلت الأمور وخروجها عن طورها.

ومن الأفكار التي يمكن القيام بها - أيضاً - في هذا الشأن:

* توزيع شرائط الكاسيت لبعض العلماء، والتي تدور بشكل مركز حول سب الدين أو سب الذات الإلهية، وما يترتب عليه من أضرار بالغة بالإيمان.

* كذلك من الوسائل التي نراها نافعة - إن شاء الله - في ذلك الأمر أن يكون هناك تواصل مباشر مع هؤلاء الذين يقعون في ذلك الذنب؛ يتم الحديث خلاله بشكل مباشر حول هذا الموضوع.

مع مراعاة اختيار وانتقاء من يقوم بهذه المهمة بدقة شديدة، بحيث يكون له عند هؤلاء الناس قبول نفسي وسابق ود، وأن يلتزم الكلمة الطيبة واللين والرفق.. وكل آداب النصح أثناء الحديث معهم .

وأخيراً يجب أن نؤكد لعوام الناس أن الأفضال الإلهية لا تنقطع عنا، فالأمماد الإلهية - وحدها - هي التي تُبقينا على قيد الحياة، ولولا هذه الأفضال وتلك الأمماد لتلاشى كل شيء، ولصار الإنسان فانياً ذاوياً، فعلى

العاقل أن يهتف باسم الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي خلقه من طين، فمهما التفتنا يميناً وشمالاً، فلن نجد ملجأً تهرع إليه أفئدتنا، أو مثابة تفزع إليها شعوبنا، إلا بركة الواهب الأعلى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ

مِنْ طِينٍ} (السجدة : ٧).

السؤال التاسع : كيف يمكن للشخص أن يتمالك نفسه عند ساعة الغضب ليتجنب سب الذات الإلهية ؟

الغضب نزغة من نزغات الشيطان، يقع بسببه من السيئات والمصائب ما لا يعلمه إلا الله، ولذلك جاء في الشريعة ذكراً واسعاً لهذا الخلق الذميمة، وورد في السنة النبوية علاجات للتخلص من هذا الداء وللحد من آثاره، فمن ذلك :

١ - الاستعاذة بالله من الشيطان : عن سليمان بن صرد قال : كنت جالساً مع النبي ﷺ، ورجلان يستبان، فأحدهما احمرّ وجهه وانقخت أوداجه (عروق من العنق) فقال النبي ﷺ : " إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب

عنه ما يجد، لو قال أعوذ بالله من الشيطان ذهب عنه ما يجد " رواه البخاري، الفتح ٣٣٧/٦ ومسلم/٢٦١٠

وقال ﷺ: " إذا غضب الرجل فقال أعوذ بالله، سكن غضبه " صحيح الجامع الصغير رقم ٦٩٥ .

٢ - السكوت : قال رسول الله ﷺ: " إذا غضب أحدكم فليسكت " رواه الإمام أحمد المسند ٣٢٩/١ وفي صحيح الجامع ٦٩٣، ٤٠٢٧ .

وذلك أن الغضبان يخرج عن طوره وشعوره غالباً فيتنفّظ بكلمات قد يكون فيها كفر والعياذ بالله أو لعن أو طلاق يهدم بيته، أو سب وشم يجلب له عداوة الآخرين. فبالجملة : السكوت هو الحل لتلافي كل ذلك .

٣ - السكون : قال رسول الله ﷺ: " إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع " .

ورأوي هذا الحديث أبو ذر ﷺ، حدثت له في ذلك قصة : فقد كان يسقي على حوض له فجاء قوم فقال : أيكم يورد على أبي ذر ويحتسب شعرات من رأسه ؟ فقال رجل أنا فجاء الرجل فأورد عليه الحوض فدقّه أي كسره أو حطّمه والمراد أن أبا ذر كان يتوقع من الرجل المساعدة في سقي الإبل من الحوض فإذا بالرجل يسيء ويتسبب في هدم الحوض .

وكان أبو ذر قائماً فجلس ثم اضطجع فقبل له : يا أبا ذر لم جلست ثم اضطجعت ؟ قال فقال : إن رسول الله ﷺ وذكر الحديث بقصته في مسند أحمد ١٥٢/٥ وانظر صحيح الجامع رقم ٦٩٤ .

وفي رواية كان أبو ذر يسقي على حوض فأغضبه رجل فقعد فيض القدير، المناوي ٤٠٨/١ .
ومن فوائد هذا التوجيه النبوي منع الغاضب من التصرفات الهوجاء لأنه قد يضرب أو يؤذي بل قد يقتل - كما سيرد بعد قليل - وربما أتلف مالا ونحوه، ولأجل ذلك إذا قعد كان أبعد عن الهيجان والثوران، وإذا اضطجع صار أبعد ما يمكن عن التصرفات الطائشة والأفعال المؤذية . قال العلامة الخطابي - رحمه الله - في شرحه على أبي داود : " القائم متهيء للحركة والبطش والقاعد دونه في هذا المعنى، والمضطجع ممنوع منهما، فيشبه أن يكون النبي ﷺ إنما أمره بالعود والاضطجاع لئلا يبدر منه في حال قيامه وعوده بادرة يندم عليها فيما بعد . والله أعلم " سنن أبي داود، ومعه معالم السنن ١٤١/٥ .

٤ - حفظ وصية رسول الله ﷺ : عن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني قال : " لا تغضب " . فردّد ذلك مراراً، قال : " لا تغضب " رواه البخاري فتح الباري ٤٥٦/١٠ .

وفي رواية قال الرجل : ففكرت حين قال النبي ﷺ، ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله مسند أحمد ٣٧٣/٥ .

٥ - لا تغضب ولك الجنة حديث صحيح : صحيح الجامع ٧٣٧٤ . وعزاه ابن حجر إلى الطبراني، انظر الفتح ٤٦٥/٤ .

إن تذكر ما أعد الله للمتقين الذين يتجنبون أسباب الغضب ويجاهدون أنفسهم في كبتة ورده لهو من أعظم ما يعين على إطفاء نار الغضب، ومما ورد من الأجر العظيم في ذلك قوله ﷺ ومن كظم غيظاً، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضاً يوم القيامة رواه الطبراني ٤٥٣/١٢ وهو في صحيح الجامع ١٧٦ .

وأجر عظيم آخر في قوله عليه الصلاة والسلام: "من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله عَلَيْكَ على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء" رواه أبو داود ٤٧٧٧ وغيره، وحسنه في صحيح الجامع ٦٥١٨ .

٦ - معرفة الرتبة العالية والميزة المتقدمة لمن ملك نفسه : قال رسول الله ﷺ: " ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب " رواه أحمد ٢٣٦/٢ والحديث متفق عليه.

وكلما انفعلت النفس واشتد الأمر كان كظم الغيظ أعلى في الرتبة . قال عليه الصلاة والسلام: " الصرعة كل الصرعة الذي يغضب فيشتد غضبه ويحمر وجهه، ويفشعر شعره فيصرع غضبه " رواه الإمام أحمد ٣٦٧/٥، وحسنه في صحيح الجامع ٣٨٥٩ .

وينتهدر عليه الصلاة والسلام الفرصة في حادثة أمام الصحابة ليوضح هذا الأمر، فعن أنس أن النبي ﷺ مرّ بقوم يصطرون، فقال: ما هذا؟ قالوا: فلان الصريع ما يصرع أحداً إلا صرعه قال: " أفلا أدلكم على من هو أشد منه، رجل ظلمه رجلٌ فكظم غيظه فغلبه وغلب شيطانه وغلب شيطان صاحبه" رواه البزار قال ابن حجر بإسناد حسن . الفتح ٥١٩/١٠ .

٧ - التأسى بهديه ﷺ في الغضب : وهذه السمة من أخلاقه ﷺ، وهو أسوتنا وقودتنا، واضحة في أحاديث كثيرة، ومن أبرزها : عن أنس رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه بُرد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ (ما بين العنق والكتف) وقد أثرت بها حاشية البرد، ثم قال : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه ﷺ فضحك، ثم أمر له بعتاء متفق عليه فتح الباري ٣٧٥/١٠ .. ومن التأسى بالنبي ﷺ أن نجعل غضبنا لله، وإذا انتهكت محارم الله، وهذا هو الغضب المحمود فقد غضب ﷺ لما أخبروه عن الإمام الذي يُنفر الناس من الصلاة بطول قراءته، وغضب لما رأى في بيت عائشة سترًا فيه صور نوات أرواح، وغضب لما كلمه أسامة في شأن المخزومية التي سرقت، وقال : أتشفع في حد من حدود الله ؟ وغضب لما سُئل عن أشياء كرهها، وغير ذلك . فكان غضبه ﷺ لله وفي الله .

٨ - معرفة أن رد الغضب من علامات المتقين :

وهؤلاء الذين مدحهم الله في كتابه، وأثنى عليهم رسوله ﷺ، وأعدت لهم جنات عرضها السماوات والأرض، ومن صفاتهم أنهم: {يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (آل عمران : ١٣٤)، وهؤلاء الذين ذكر الله من حسن أخلاقهم وجميل صفاتهم وأفعالهم، ماتشربب الأعناق وتتطلع النفوس للحوق بهم، ومن أخلاقهم أنهم: {إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} (الشورى : ٣٧).

٩ - التذكر عند التذكير : الغضب أمر من طبيعة النفس يتفاوت فيه الناس، وقد يكون من العسير على المرء أن لا يغضب، لكن الصديقين إذا غضبوا فذكروا بالله ذكروا الله ووقفوا عند حدوده، وهذا مثلهم .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً استأذن على عمر رضي الله عنه فأذن له، فقال له : يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل - العطاء الكثير - ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر رضي الله عنه حتى همّ أن يوقع به، فقال الحر بن قيس - وكان من جلساء عمر - : يا أمير المؤمنين إن الله ﷻ قال لنبيه، ﷺ: " خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين " وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر رضي الله عنه حين تلاها عليه،

وكان وقافاً عند كتاب الله ﷺ رواه البخاري الفتح ٤/٣٠٤ . فهكذا يكون المسلم، وليس مثل ذلك المنافق الخبيث الذي لما غضب أخبروه بحديث النبي ﷺ وقال له أحد الصحابة تعوذ بالله من الشيطان، فقال لمن ذكره : أترى بي بأس أمجنون أنا ؟ اذهب رواه البخاري فتح ١/٤٦٥ . نعوذ بالله من الخذلان .

١٠ - **معرفة مساوئ الغضب** : وهي كثيرة، مجملها الإضرار بالنفس والآخرين، فينطلق اللسان بالشتم والسب والفحش وتنطلق اليد بالبطش بغير حساب، وقد يصل الأمر إلى القتل، وهذه قصة فيها عبرة : عن علقمة بن وائل أن أباه ﷺ حدثه قال : إني لقاعد مع النبي ﷺ إذ جاء رجل يقود آخر بنسعة - حبل مضمور - فقال : يا رسول الله هذا قتل أخي . فقال رسول الله ﷺ ، أقتلته ؟ قال : نعم قتلته . قال : كيف قتلته ؟ قال : كنت أنا وهو نختبئ - نضرب الشجر ليسقط ورقه من أجل العلف - من شجرة، فسيني فأغضبني فضربته بالفأس على قرنه - جانب الرأس - فقتلته ... إلى آخر القصة رواه مسلم في صحيحه ١٣٠٧ ترتيب عبد الباقي .

وقد يحصل أدنى من هذا فيكسر ويجرح، فإذا هرب المغضوب عليه عاد الغاضب على نفسه، فربما مزق ثوبه، أو لطم خده، وربما سقط صريعاً أو أغمي عليه، وكذلك قد يكسر الأواني ويحطم المتاع . ومن أعظم الأمور السيئة التي تنتج عن الغضب وتسبب الويلات الاجتماعية وانفصام عرى الأسرة وتحطم كيانها، هو الطلاق . وأسأل أكثر الذين يطلقون نساءهم كيف طلقوا ومتى، فسينبئونك : لقد كانت لحظة غضب .

فينتج عن ذلك تشريد الأولاد، والندم والخيبة، والعيش المرّ، وكله بسبب الغضب . ولو أنهم ذكروا الله ورجعوا إلى أنفسهم، وكظموا غيظهم واستعاذوا بالله من الشيطان ما وقع الذي وقع ولكن مخالفة الشريعة لا تنتج إلا الخسارة .

وما يحدث من الأضرار الجسدية بسبب الغضب أمر عظيم كما يصف الأطباء كتجلط الدم، وارتفاع الضغط، وزيادة ضربات القلب، وتسارع معدل التنفس، وهذا قد يؤدي إلى سكتة مميتة أو مرض السكري وغيره . نسأل الله العافية .

١١ - تأمل الغاضب نفسه لحظة الغضب :

لو قدر لغاضب أن ينظر إلى صورته في المرآة حين غضبه لكره نفسه ومنظره، فلو رأى تغير لونه وشدة رعدته، وارتجاف أطرافه، وتغير خلقته، وانقلاب سحنته، واحمرار وجهه، وجحوظ عينيه وخروج حركاته عن الترتيب وأنه يتصرف مثل المجانين لأنف من نفسه، واشمأز من هيئته ومعلوم أن قبح الباطن أعظم من قبح الظاهر، فما أفرح الشيطان بشخص هذا حاله ! نعوذ بالله من الشيطان والخذلان .

١٢ - **الدعاء** : هذا سلاح المؤمن دائماً يطلب من ربه أن يخلصه من الشرور والآفات والأخلاق الرديئة، ويتعوذ بالله أن يتردى في هاوية الكفر أو الظلم بسبب الغضب، ولأن من الثلاث المنجيات : العدل في الرضا والغضب صحيح الجامع ٣٩٠٣٩ وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام : " اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الإخلاص في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نعيماً لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر

إلى وجهك والشوق إلى لقاءك، في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة الله زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين ."

السؤال العاشر : الظاهرة متفشية في فلسطين أرض الرباط، برأيك هل تؤثر على مكانة هذه الأرض المقدسة ؟
إنها عادة قبيحة رذيلة، وبدعة دخيلة منكرة، وجريمة لا تغفر، تلك التي تنتشر في بلادنا المباركة، تلك هي سب الدين والرب، حتى نسمع الطفل الذي لا يتجاوز من العمر ثلاث سنوات يسب، فمن أين وكيف تعلم ذلك؟ لقد تعلم من البيئة، ممن هم أكبر منه سناً، وغالباً ما يسمع هذه المسبات من أبيه أو من أمه أو من جيرانه، ويقول رسولنا الأكرم في حديث مطول : " ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء "، فالإثم يلاحق الشخص الذي أدخل هذه المسبات إلى بيئته، وأوصلها إلى جيرانه، حتى بعد وفاته.

ألا يعلم المسلمون لماذا تنزل علينا المصائب تترى؟ لماذا يسلط الله علينا أعداء الإسلام؟ إن ذلك بما كسبت أيدي الناس، فيقول ﷺ: { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } (الشورى : ٣٠)، ويقول ﷺ: { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } (الروم : ٤١)، أي لعلهم يتوبون ولعلهم يرتدعون، ولو أن الله رب العالمين يحاسب الناس في الدنيا على أعمالهم، ولو أنه يؤاخذهم ما ترك على ظهرها من دابة، فيقول ﷺ: { وَكَوَيْدًا أَخَذَ اللَّهُ النَّاسِ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى } (النحل : ٦١)، ويقول ﷺ: { وَكَوَيْدًا أَخَذَ اللَّهُ النَّاسِ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى } (فاطر : ٤٥).

ومما يؤسف له أن أكثر البلاد انتشاراً لظاهرة سب الدين والرب، هي بلادنا المباركة المقدسة، وهذا واقع مر علينا أن نعترف به، وبالرغم من أن نسبة التدين في بلادنا تفوق بلاداً إسلامية أخرى، إلا أن عادة سب الدين والرب منتشرة مع الأسف في بلادنا أكثر من أي بلد إسلامي.
وبعض المسلمين في الأقطار الأخرى يعيروننا بأننا في فلسطين نسب الذات الإلهية، ونسب الإسلام العظيم، ومن أجل ذلك يشتمون بما يصيبنا.

إن الملاحظ عملياً في مجتمعنا أن الموازين انقلبت، فلو أن شخصاً سبّ دين شخص آخر فإنه لا يتأثر ولا يتحرك ولا يعتبرها إهانة، أما إذا سبّ أبوه أو عائلته فإنه يثور ويغضب ويبرز أشباه الرجال، وتظهر العنتريات المزيفة والحماقات المخزية ونشاهد الهراوات والجنازير، وهذه ظاهرة من ظواهر الجاهلية الأولى، وهذه الظاهرة هي معاكسة تماماً لأخلاق رسولنا الأكرم ﷺ الذي كان يغضب حينما تنتهك حرمة من حرّمات الله، ولم يكن يغضب لنفسه، فنقول أم المؤمنون عائشة رضي الله عنها في وصف أخلاقه : " وما انتقم رسول الله لنفسه في شيء قط، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله تعالى "

السؤال الحادي عشر : ماذا تقول لمن يقدم على ذلك ؟

أقول لمن سب الله تعالى أو الدين أن ذلك كفر أكبر مخرج من الملة، قال الله تعالى: { قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَإِيَّاتِهِ وَرَسُولِهِ
 كُنْتُمْ سَاهِبُونَ } {٦٥} لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ {٦٦} (التوبة : ٦٥-٦٦).

وأذكره أنه قد حبطت أعماله، وأنه - إن لم يتب - سيلقى الله تعالى بالكفر الأكبر .

وأعلمه أن عقوبته الشرعية التي يستحقها في الدنيا عن طريق ولادة الأمر : القتل، لقول النبي ﷺ : " مَنْ
 بَدَلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ " رواه البخاري .

وأذكره بوجوب الرجوع إلى الإسلام، وأنه إذا رجع وتاب وصدق في التوبة تاب الله عليه كما قال سبحانه
 : { وَالَّذِينَ كَانُوا يُدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَكَانُوا مُشْكِلُونَ أَنفُسَ اللَّهِ إِلًا بِالْحَقِّ وَلَا يَزِيدُونَ وَمَن يَعْمَلْ ذَلِكَ يَقُلْ أَنَا مَا {٦٨} يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 وَيَخُذُ فِيهِ مَهَانًا {٦٩} إِيَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا {٧٠} وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ
 صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا {٧١} (الفرقان : ٦٨) والله أعلم .

السؤال الثاني عشر : ما حكم الردة عن دين الله تعالى عموماً :

فإن أخطر ما يتعرض له المسلم في الدنيا: الارتداد عن دين الإسلام والعياذ بالله، وهو أخطر وأفحش
 أنواع الكفر، وقد ابتدأت بعض بلاد المسلمين بانتشار ألفاظ بين الناس يتلفونها؛ جهلاً بدينهم وجهلاً بقدر الله
 تعالى، فإذا مررت في الأسواق أو في مجالس الأحياء أو حضرت مخاصمة تعالت فيها الأصوات وسيطر عليها
 الشيطان ؛ تسمع ما ينفطر له قلبك ، وما تُدَكُّ لهوله الجبال من سب للذات الإلهية، أو شتم للدين وكأنهم يسبون
 عدواً أو غريباً، وإذا حضرت مجالس اللهو واللعب والضحك سمعت ألفاظاً لا تليق بالذات الإلهية أو المسلم
 المتزن وهي تؤدي للكفر والعياذ بالله تعالى ولكن قائلها لا يعلم ذلك، ولما تجد من ينكر هذه الظاهرة من
 الجالسين بحكمة وموعظة حسنة لجهلهم بخطورتها والأحكام المترتبة عليها، وتعدى الأمر لأن تسمع مثل هذه
 الألفاظ الفظيعة من أطفال يقلدون آباءهم أو من هم أكبر منهم سناً ، وولولا كثرة سماع الأطفال لهذه السببات من
 الكبار وتردادها على أسماعهم ما تلفظوا بها .

وحتى نعلم فداحة هذه الألفاظ وخطورة الأمر لا بد من بيان الأحكام المترتبة على سب الذات الإلهية أو

سب الدين أو سب النبي أو التعرض لكل ذلك بالتنقيص والأذى والسخرية، نوجز أهمها بالآتي :

أولاً : ما يتعلق بحكم المرتد : يستتاب المرتد ثلاثة أيام فإن عاد فيها ونعمت، فيشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً
 رسول الله ويتبرأ من الكفر ويستغفر الله تعالى ، وإن لم يعد يقتل لحديث النبي ﷺ : " من بدل دينه فاقتلوه "
 أخرجه البخاري ، لأنه بعدم عودته قد أظهر عيادته ومحاربتة للإسلام وتقصده للإهانة بالدين، ولا يجوز لغير
 الحاكم أو القاضي أو من ينوب منابه الأمر و المباشرة بقتله.

ومثل هذا الحكم يقال في من سب أو انتقص أو استهزأ بالنبي الكريم ﷺ، فقد أخرج أبو داود والنسائي
 عن ابن عباس أن أعمى كان على عهد رسول الله ﷺ، وكانت له أم ولد وكان له منها ابنان وكانت تكثر الوقيعة
 برسول الله ﷺ وتسببه فيزجرها فلا تنزجر وينهاها فلا تنتهي فلما كان ذات ليلة ذكرت النبي ﷺ فوَقَعَتْ فِيهِ فَلَمْ
 أَصْبِرْ أَنْ فُتُّ إِلَى الْمَغُولِ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا فَاتَكَتْ عَلَيْهِ فَاقْتَلَتْهَا فَأَصْبَحَتْ قَتِيلًا فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَجَمَعَ
 النَّاسَ وَقَالَ أَنْشُدُ اللَّهَ رَجُلًا لِي عَلَيْهِ حَقٌّ فَعَلَّ مَا فَعَلَ إِلَّا قَامَ فَأَقْبَلَ الْأَعْمَى يَتَدَلَّلُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا صَاحِبُهَا
 كَانَتْ أُمُّ وَلَدِي وَكَانَتْ بِي لَطِيفَةً رَفِيقَةً وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلِ اللُّؤْلُوتَيْنِ وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تَكْتُرُ الْوَقِيعَةَ فِيكَ وَتَسْتُمْتِكُ

فَأَنهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي وَأَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ فَلَمَّا كَانَتْ الْبَارِحَةَ ذَكَرْتُكَ فَوَقَعَتْ فِيكَ فَقُمْتُ إِلَى الْمَغُولِ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا فَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَلَا أَشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدْرٌ. والمغول هو حديد رقيقة كالسكين وقد تلف حول الخصر، ومعنى دمها هدر أي لا قصاص ولا دية فيه ولا إثم.

ومثل هذا الحكم أيضاً ينطبق على من انتقص قدر الصحابة رضي الله عنهم أو قدر أمهات المؤمنين، لأن الله تعالى قد مدحهم في كتابه، واختارهم لصحبة رسوله الله ﷺ، وقد تواترت الأخبار في فضلهم. خاصة منهم العشرة المبشرين بالجنة وعائشة رضي الله عنها

وإذا مات المرتد - نسال الله العافية - قبل أن يعود للإسلام فلا يجوز للمسلمين تغسيله أو تكفينه أو الصلاة عليه أو قبره في مقابر المسلمين بل يقبر في مقابر غير المسلمين.

ثانياً: وليعلم أيضاً أن الذي يرتد عن الإسلام لأي سبب كان من أسباب الردة ويموت على الردة - والعياذ بالله - أن ثواب أعماله الصالحة المقبولة من العبادات وغيرها قد حبطت، لقوله تعالى: { وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَسْتَوْفِرْ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (البقرة : ٢١٧).

فهذه الآية أفادت أن الذي مات مرتداً عن الإسلام لا قيمة لأعماله التي قام بها من صلاة أو زكاة أو صدقة أو حج أو غيرها من أعمال البر والخير.

وأفادت أيضاً أن رده عن الإسلام وموته على الردة هي سبب لخلوده في النار ولا يخرج منها أبداً بخلاف المسلم العاصي فإنه - وإن دخلها - فلا يخلد فيها بل ماله إلى الجنة نسال الله المغفرة .

وقال تعالى: { وَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (الزمر : ٦٥)، ومعنى الآية : أن النبي ﷺ - على شرف منزلته وعظم قدره عند الله - لو أشرك لحبط عمله، فكيف أنتم! لكنه ﷺ لا يشرك لفضل مرتبته واستحالة ذلك عليه ﷺ.

ثالثاً: ما يتعلق بالعبادة نفسها من حيث البطلان والصحة: من ارتد عن الإسلام ثم عاد لا خلاف أن عبادته المتلبس بها عند رده تبطل، كأن يكون قد تلفظ بلفظ من ألفاظ السباب أو الشتم في حق الله ورسوله أو دينه وهو صائم في رمضان أو غيره أو في الحج وهو يقوم بمناسك الحج ، وبذلك يجب عليه إن كان صائماً أن يتم إمساكه عن الطعام والشراب لحرمة الشهر ثم يقضي يومه الذي بطل ، ويتم مناسك حجه ثم يقضيه في العام المقبل إن كان حاجاً.

ولكن هل تحبط أعمال البر والخير والعبادات التي قام بها قبل الردة ، ويحبط معها ثوابها؟

ذهب الإمام الشافعي أنه من ارتد ثم عاد إلى الإسلام لم يحبط عمله ولا عباداته ولا حجه الذي فرغ منه قبل الردة ، وإنما يحبط الثواب فلا أجر له فيما عمل ، و أما إن مات على الردة فحينئذ تحبط أعماله مع ثوابها . وقال مالك وأبو حنيفة: تحبط أعماله مع ثوابها بنفس الردة سوار كانت الأعمال قبل الردة أو أثناء الردة. ويظهر الخلاف في المسلم إذا حج ثم ارتد ثم أسلم، فقال مالك وأبو حنيفة: يلزمه إعادة الحج، لأن الحج الأول قبل الردة قد حبط بالردة .

وقال الشافعي: لا إعادة عليه لحجه الذي فرغ منه قبل الردة ، لأن عمله باق وإنما حبط ثواب عمله. نسال الله الثبات على الإسلام.

وعلى كل الأحوال فإن قضاء ما بطل من الأعمال وثوابها لا تعوضه عن الخسارة التي وقع فيها بسبب الجريمة التي قام بها في حق ربه ودينه ورسوله .

رابعاً : ما يتعلق بعقد نكاح المرتد : إذا شتم المسلم دينه أو ربه أو نبيه أو فعل أي فعل يوجب الردة عن الإسلام فإن كان متزوجاً قد دخل بزوجه فإن زوجته تحرم عليه ولا يجوز له أن يقربها حتى يعود للإسلام ، ويراجع زوجته ، فإن مضت ثلاث حيضات على الزوجة ولم يراجعها الزوج ولم يعد للإسلام؛ فإن زوجته تبين منه أبداً ، لأن عقد الزواج مبني على الإسلام، وقد نقضت عروة الإسلام في المرتد والعياذ بالله.

وإن كان المرتد قد عقد على زوجته ولم يدخل فيها فإن عقد النكاح باطل ، أي كأنه لم يعقد عليها أبداً ، ولا يجوز له أن يعقد النكاح مرة أخرى حتى يعود للإسلام ، وتكون عودته للإسلام بأن يشهد الشهادتين ويستغفر ربه ويتوب إليه ويتبرأ من كل كفر ويعقد العهد على أن لا يعود لمثل ما عمله أبداً . فإن جامع المرتد زوجته قبل عودته للإسلام وتجديد عقده فإن جماعه هذا سفاح حرام، وإن قدر الله في هذا الجماع ولداً فيكون من حرام نسأل الله العافية.

خامساً : ما يتعلق بالإرث : إذا ثبت موت المرتد قبل رجوعه للإسلام فإنه لا يرث منه أولاده وأقاربه المسلمون في مذهب الإمام الشافعي بل يعود ماله لبيت مال المسلمين.

وقال الإمام أبو حنيفة : ما اكتسبه في رده فهو لبيت المال، وما اكتسبه في الإسلام فهو لورثته المسلمين.

وإذا مات أحد والدي أو أقارب المرتد قبل أن يرجع المرتد إلى الإسلام، فإنه لا يرث المرتد من أبيه المسلم للحديث الذي أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا يتوارث أهل ملتين، ولا يرث مسلم كافراً، ولا كافر مسلماً "، ثم قرأ : { **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَعْلُوهُمْ لَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** } (الأنفال : ٧٣)، والحديث أخرجه البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنه بلفظ : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم " وهذا قول أهل العلم كافة.

وبعد : فهناك فروع أخرى من الأحكام تتعلق بالردة يطول ذكرها وإنما تعرضت لأهمها تحذيراً للمسلمين ، وتبنيهاً لعظمة جانب الدين ، فإن الأمر يتعلق بآخرة المسلم قبل دنياه.

جنبنا الله وإياكم الوقوع في الزلل ومكائد الشيطان والله ولي التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .